علماء التفسير في شمال نيجيريا وأثرهم في حياة المجتمع: عبد الله بن فودي أنموذجا

محمد حبيب أبوبكر[1] محمد فتحي محمد عبد الجليل*[2]
[1] كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة سلطان زين العابدين، ترنغانو، ماليزيا
habibarrasul@yahoo.com
arid.my/0004-2467
[2] كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة سلطان زين العابدين، ترنغانو، ماليزيا
Mfm757@hotmail.com
arid.my/0001-0236

Qur'an Commentators In Northern Nigeria And Their Imapcts On Community Life: A Case Study Of Abdullahi Bin Fodi

Muhammad Habib Abubakar[1] Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil*[2]
[1] Faculty of Islamic Contemporary Studies, Universiti Zainal-Abidin. Terengganu, Malaysia.
habibarrasul@yahoo.com
arid.my/0004-2467
[2] Faculty of Islamic Contemporary Studies, Universiti Zainal-Abidin. Terengganu, Malaysia.
Mfm757@hotmail.com
arid.my/0001-0236

المؤتمر الدولي السادس للاتجاهات المتقدمة في الدراسات الإسلامية

المحفل العلمي الدولي

ماليزيا

شعبان، 1441هـ / April, 2020

المستخلص:

لقد احتوى فجر التاريخ النيجيري على مجموعة من العلماء، عملوا على نشر الإسلام في منطقة الشمالية النيجيرية، عن طريق الدعوة والجهاد لإحياء التعاليم الصحيحة للإسلام ومحاربة البدع والشرك؛ من بينهم الشيخ عبد الله بن فودي الذي عاش أواخر القرن السابع عشر الميلادي أيام أن انطمس المعالم الصحيحةللإسلام وانتشرت العقائد الفاسدة والبدع الموروثة، وكثر الشرك وساد الجهل، وانتهك الحرمات وارتكب المحرمات. فقام جاهدا، غازيا وداعيا إلى الله في سبيل إصلاح المجتمع بهدم دعائم الشرك وترسيخ السنة، فكاتب الله لزرعه البقاء وأنبت نباتا حسنا. وعليه فالهدف التعريف بشخصية هذا العالم الجليل مع بيان إسهاماته التي كان لها دورا إيجابيا في استرجاع الناس إلى الدين الصحيح. وقد اعتمد البحث في التحليل والتفسير على المنهج الوصفي الذي يعتني بوصف الظواهر الأمور المنقولة وتحليلها كما هي على أرض الواقع. وتوصل إلى أن لعبد الله بن فودي -الأديب المفسر- في مطلع القرن الثامن عشر أثر ملموس تجاه إصلاح مجتمعه دينيا وتربويا، فكريا وسياسا، و ما زالت هذه الآثار باقية و عالقة بالأذهان طوال قرن متكامل.. .

كلمات مفتاحية: علماء التفسير، الأثر، جهود، عبد الله بن فودي، شمال نيجيريا

Abstract:

The early Nigerian history embodied set of Islamic scholars, worked on spreading Isalm in the northern region, via preaching and Jihad for the sake of installing the true Islamic teachings, fighting innovations and Polytheisms. Among them Abdullahi bn Fodi that lived in the late 1970s, during the time whereby Islamic teachings were on the verge of expungement, perverted ideologies spread, inherited innovations embraced, ignorance dominated, sacredness violated and prohibitions perpetrated. He held to the Quran tightly as a tool for reforming society and, so Allah decreed a longlasting to his planting and it yielded good vegetation. The objective of this study is to identify the personality of Abdullahi bn fodi and his contributions that had a great influence on the restoration and reformation of the true Islamic religion. The study adopts a descriptive approach in presenting and analysing the topic's chapters. The study asserted that Abdullahi bin fodi had a noticeable impact in the 18th century towards the reformation of his society religiously and educationally, intellectually and politically, which remained and lasted in minds for a century.

Keywords: Qur'an commentators, Impact, Effort, Abdullahi bn Fodi, Northern Nigeria

المقدمة:

من طبيعة الشخصيات الموهوبة ترك الأثر والبصمة بين صفحات أعمارها، يبقى درسا على مر العصور ومجدا على مر التاريخ. وقد حفل التاريخ الإفريقي بحشد من الشخصيات المميزة خلد التاريخ ذكرها، ودون الحبر دورها لما لها من أثر نافذ وجهد باق.

من بينها شخصية عبد الله بن فودي المفسر الفقيه الأديب من علماء القرن الثامن عشر الذي صاحبت جهوده حركة عثمان بن فودي، ولاقى معاناة شديدة في سبيل الاصلاح والتغيير، فلا ملّ ولا هجر، ولكن ثبت وأرشد، وقاوم وقاتل حتى جاء الفرج والنصر من الله بإقامة دولة إسلامية. إن عبد الله بن فودي له آثار وإسهامات نبيلة في إصلاح المجتمع عن طريق الخدمات الجليلة التي قدّمها دينيا وتربويا، سياسيا وفكريا، وهي جديرة بالنظر والبحث طلبا لاستخراج الدروس والفوائد.

فتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على شخصية عبد الله بن فودي ودراسة أهم جهوده التي أثرت إيجابيا في تقدم المجتمع دينيا ودنيويا، متبعا المنهج الوصفي في عرض قضايا البحث وتحليلها والتي جاءت كالآتي:

المبحث الأول: شمال نيجيريا في القرن السابع عشر الميلادي

المطلب الأول: جغرافية هذه البلاد و تحديد أمكنتها (منطقة شمال نيجيريا)

المطلب الثاني: حياة الإنسان المسلم في شمال نيجيريا قبل الاستعمار

المبحث الثاني: عبد الله بن فودي وأثره في حياة المجتمع

المطلب الأول: ترجمة عبد الله بن فودي

المطلب الثاني: جهود عبد الله بن فودي المؤثرة في حياة المجتمع

يعتبر عبد الله بن فودي ركن أساسي في نجاح حركة عثمان بن فودي، وقد أثر دينيا وفكريا، سياسيا وتربويا في مجتمعه، وجاءت ثمرة ذلك بنبذهم البدع وأخذهم بالسنة عن طريق دروسه وتأليفاته ومعاركه، وأن جهوده المتعلقة بالقرآن من أهم أعماله التي نالت قبولا وانتفع بها المجتمع.

المبحث الأول: شمال نيجيريا في القرن السابع عشر الميلادي

- المطلب الأول: جغرافية هذه البلاد و تحديد أمكنتها (منطقة شمال نيجيريا)

إذا رجعنا إلى فجر تاريخ نيجيريا وجدنا أنه يقرب من ألف سنة عند اتساع النفوذ الإسلام بغرب أفريقيا، و لكنه تاريخ محدود في دائرة ضيقة من بعض بلادها لم يتسع إلى سواها ، لأن علماء أفريقيا الغربية للمسلمين القدماء لا يكتثرون بتدوين بلادهم التي شاهدو ها و لا بدراسة أحوال أراضهم التي نشأوا فيها و ترعرعوا فوقها ، و إنما يطمحون إلى دراسة أحوال البلاد النائية و يصرفون النظر عن بلادهم الدانية ، اللهم إلا ما كان منذ أربعمائة سنة حيث بدأ قليل من العلماء يسجلون تاريخ بعض الأمراء و العلماء في هذه البلاد ،منهم أحمد بابا التمبكتي[1]، وعبد الرحمان السعدي[2]، و آل فودي و تلاميذهم ، فهؤلاء الذين بحثوا في التاريخ الإفريقي القديم و تركوا لنا شيئا نستضيء به في البحث و نهتدي به في التأليف. [1، ص13-14]

"كلمة النيجر محرّفة من "نيغرو " ، و هي كلمة لاتينية معناها الزنجي الصغير و الأسود القصير . و لقد أطلقتها الأمم القديمة على سكان غرب أفريقيا و أستراليا كما أطلق العرب عليهم كلمة الزنج أو النوبة أو السودان .. . و كلمة نيجيريا بالمعنى العام تعني ما حول بلاد نيغرو او ما حول وادي النيجر .

و على صحة هذا التعبير تنطبق الكلمة على سائر البلاد التي وجد فيها نيغرو "قبائل الزنج" بغرب أفريقيا، أو على البلاد التي مر بها النهر (النهر النيل) من منبعه إلى مصبه ، حتى يشمل جميع ما يعرف اليوم بغرب أفريقيا .و جميع البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى جنوبا و غربا حتى المحيط (المحيط الأطلسي) إلى حدود الكونغو كانت تسمى في التاريخ القديم بالسودان الغربي ، و عليه كتب الأولون من أمثال البكري[3] و ابن خلدون و التمبكتي و السعدي .

أو أنها كانت تسمى "بلاد التكرور" و عليه كتب المتأخرون كالسلطان محمد بللو[4] في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور." [1، ص15- 16]

---

[1] - أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر التمبكتي السوداني ، المعروف بـ باباب التمبكتي . ألف ما يقارب أربعين تأليفا ، و لد سنة ثلاث و ستين و تسعمائة هـ . و توفي سنة ست و ثلاثين و ألف هـ . فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، ص 31

[2] - هو عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي التنبكتي ،صاحب كتاب تاريخ السودان . ولد عام أربعة و ألف . فتح الشكور، ص 176/رقم 172

[3] - شيخ شيوخ زمانه أخذ الفقه و العربية و البلاغة في بلاد برنو ، ثم ارتحل إلى الشيخ النجيب التكراوي و لازمه واستفاد منه ، ثم رجع إلى بلاده ، و كان أول من قام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في هذه البلاد. له نظم السنوسية الكبرى و غيره. إنفاق الميسور:ص37، و الإسلام في نيجيريا: ص66

[4] - محمد بللو بن عثمان بن فودي ، ولد 1195 و توفي سنة 1253 . ومن مؤلفاته إنفاق الميسور في بلاد التكرور ، و روضة الأفكار ، ومفتاح السداد . انظر: الوري، عبد الله، الإسلام في نيجريا، ص 72 ، و: بللو، محمد، إنفاق الميسور ، ص 23 (في ترجمة المؤلف التي كتبها الشيخ أبوبكر غومي في مقدمة الكتاب)

و تقع في غرب أفريقيا، و يحدها من الغرب بنين ومن الشمال "النيجر" ، ومن الشمال الشرقي تشاد ، و الجنوب الشرقي الكاميرون. [2]

و قبائل غرب أفريقيا و إن كانت متعددة في الفروع فهي متحدة في الأصول متقاربة في التقاليد و العادات. [3، ص16] و أهم قبائل نيجيريا: أ. قبيلة هوسا و موطنهم الإقليم الشمالي ب. قبيلة إيبو و موطنهم الإقليم الشرقي ج. قبيلة يوربا و يقطنون الإقليم الغربي و بجانبهم قبيلة "إيجو". أما قبيلة الفلانة و الكانوري فتقطنان الإقليم الشمالي. [4، ص17 – 18]

إذا تضم نيجيريا داخل حدودها مناطق و جماعات متباينة من حيث ثقافتها و خبراتها التاريخية كما تتعدد و تتنوع أنماط الانقسام فيما بينها ، سواء كانت هذه الأنماط ثقافية أو دينية أو إثنية أو لغوية أو إقليمية. [5، ص 8]

و ينقسم النيجيريون من الناحية الدينية إلى مسلمين و مسيحين و أتباع ديانات تقليدية. و استقلت نيجيريا عام 1960م كدولة اتحادية تتكون من ثلاثة أقاليم : شمالي و شرقي و غربي ، و في عام 1963م أنشىء إقليم رابع و هو وسط الغرب اقتطاعا من الإقليم الغربي. [5، ص17]

وعلى ذلك فمن الناحية الدينية تنقسم نيجيريا إلى ثلاثة مناطق: [5، ص19]

1- منطقة تركز إسلامي فيها ، فيما يعرف بالشمال الأعلى (بلاد الهوسا / فولاني و الكانوري و غيرهم)

2- منطقة ينتشر الإسلام و المسيحية بدرجة متفاوتة و تضم مناطق الجماعات الاثنية الصغيرة في أوساط البلاد (الحزام الأوسط) ومعظم مناطق اليوروبا (الإقليم الغربي)

3- منطقة تركز مسيحي في الإقليم الشرقي السابق (بلاد الإيبو و الإيفيك و غيرهم) و بعض مناطق الإقليم الغربي (بلاد الإيدو و غيرهم).

- المطلب الثاني: حياة الإنسان المسلم وصلته بعقيدته في شمال نيجيريا قبل الاستعمار

بمطلع القرن السابع عشر يمكن تقسيم المراحل التي مر عليها التاريخ الإسلامي في نيجيريا إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل الاستعمار (قبل 1960)، و مرحلة ما بعد الاستعمار (الاستقلال 1960)

يقول عبد الله آدم الوري محدثا عن المرحلة الأولى في كتابه الإسلام في نيجيريا: "كانت هذه البلاد منذ طلوع فجر الإسلام فيها تتأرجح بين ظلمة الكفر و نور الإيمان ، و كان الإسلام فيها يتقلب بين كفتي النقصان و الرجحان و يتراوح بين الانتشار و الانحسار."[6، ص58] فكان من أخلاق هذا البلد التجمد على العوائد الردية و تقديمها على الكتاب و السنة و أقبح ما

يكون منها أنه إذا ظهر فيهم عالم أو ولي ثم توفي أقاموا من ذريته أحدا مقامه واقتدوا به كما يقتدون بذلك العالم والولي وأشد وإن كان جاهلا لا يعرف شيئا وربما كان كافرا، ولا يستطيع أحد أن يبطل هذه العادة فيهم لشدة رسوخها فيهم.. . [7، ص42]

و جاء في رسالة التي كتبها الإمام السيوطي إلى ملوك بلاد التكرور يقول فيها: "و بلغني من أهل غوبر أن منهم من إذا مرض ذبح عبدا له أو أمة و يزعم أن ذلك يفديه من الموت." [8، ص22]

و بهذا يتضح لنا أن الإنسان المسلم في هذه الفترة اعتنق عادات وبدع مخالفة لجوهر الإسلام، وامتزجت العادات السيئة بصحيح العبادات، و شاع الجهل و كثر الفساد و كادت أن تنطمس المعالم الصحيحة للإسلام وتنمحي آثاره، وارتد أكثر المسلمين بأفعالهم و إن كانوا يدينون بالإسلام بألسنتهم. و على رأس العوام – في إحداث البدع و تأييد المنكرات– الأمراء و الملوك حيث تجدمدوا على موراثات آبائهم الذين لم يقرو بالإسلام و لم يدعوه لأنفسهم، و تأتي أحاكمهم غالبا مصادمة للكتاب و السنة .

يقول عبد الله بن فودي: [9، ص104-105]

و لما مضى صَحبي و ضاعت مئاربي و خُلِّفت في الأخلاق أهل الأكاذب
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا هواهم و طاعوا الشح في كل واجب
و ليس لهم علم و لا يسئلونه و أعجب كل رأيه في المذاهب
و قطّع أرحاما و أزْرَى معارفا و ءاثر عن قرباه جمعَ الأشائب
و ما همهم أمرُ المساجد بلْ و لا مدارسِ علمٍ بلْهَ أمر الكتائب
و همهم ملك البلاد و أهلها و تولية الجهال أعلى المناصب
و جمع السراري و الثياب الحسان و الـ جياد الجواري في القرى لا المحارب
و أكل هدايا الجاه و الفيء و الرُّشَى و عود و مزمار و ضرب الدبادب

و أنشد محمد بلو ناعيا حال أمراء البلد: [10، ص96]

ألا أبلغن عني و إن كنت نائيا ولاة يروح الجور منهم و يرجع
فإن تنتهوا عن غيكم و رشدتم و إلا فحرب بيننا متوقع
وإن نحن أوذينا نفر بديننا إلى الله إن الأمر لله يرجع

أما العلماء فقد قيدت الأطماع ألسنتهم واستولى حب المال و الجاه على قلوبهم وركنوا إلى الراحة و الدعة و تهادنوا مع الطغاة الجبابرة و لم ينكروا كبيرة فضلا عن الصغيرة ، و لم يقوّ إيمان أحدهم صاحبه أن يزيل المنكرات بلسانه و ينهى عن اقتراف السيئات وارتكاب المحرمات ، و يصلح المجتمع بكلماته امتثالا لقوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤. يقول محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني فيما حكاه عنه عثمان بن فودي: "منذ من الله علينا بالإسلام أصابتنا مصيبة في هذه البلاد لعدم الأمانة فيمن ينسب له العلم من قرّاء بلادنا و من صفتهم أنهم عجم لا يفقهون من كلام العربية إلا قليلا من كلام عرب بلادهم على تصحيف أو تحريف و عُجمة عظيمة بحيث لا يعرفون مقاصد العلماء و لا موضع التصحيف و التحريف، و مع ذلك لهم كتب يدرسونها و حكايات و أخبار يتكلمون في دين الله و يزعمون أنهم ورثة الأنبياء و أنه يجب علينا الاقتداء بهم." [11، ص192]

بهذا نرى أنه انقلبت الأوضاع واختلطت المفاهيم و وجد في هذه البلاد من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمورا فظيعة و أحوالا شنيعة طبقت هذه البلاد و ملأتها ، حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه إلا النادر القليل. [12،ص58]

المبحث الثاني: عبد الله بن فودي وأثره في حياة المجتمع

- المطلب الأول: ترجمة عبد الله بن فودي

ذكر بوي ترجمة عبد الله بن فودي في شرح كتاب تزيين الورقات والذي سماه "توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات" وتحدث عن الآتي:

إسمه و نسبه: هو أبو عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورط بن جب بن محمد ثنبو بن ماسران بن أيوب بن بوب بابا بن موسى جكل . و موسى جكل من رؤساء قبيلة توردب الفلانية التي هاجرت من تنبكتو إلى فوتاتور من بلاد السنغال لوقت قديم ثم هاجروا منها إلى كن (و كن : مدينة في جمهورية نيجر على حدود نيجيريا ، قبيلة في ولاية صكتو) من بلاد هوسا في أواخر القرن الثامن الهجري فانتشروا في بلاد هوسا.

ولادته و نشأته: ولد الشيخ عبد الله في يوم الاثنين ليومين مضايا من شهر جمادى الأول سنة 1180هـ/ الموافق 1766م، في قرية نون من حكومة ولاية ورنو ، و قيل في مغمى من حكومة محلية سابون برني

ولاية صكتو حاليا بنيجيريا، وقيل في مغمى التي في ولاية زمفرا ، و قيل في طغل التي في حكومة محلية غدباوا ولاية صكتو حاليا . و القول الأول هو المشهور. و نشأ في بيئة علمية في بيت معروف بالعلم و الصلاح، و كان أبوه يلقب بـ " فودي " و معناه الفقيه ، و جده من جهة الأم محمد بن سعد المعروف بالعلم و الصلاح . أخذ من أبيه القرآن و بعض الدراسات الإسلامية ، ثم سلمه أبوه إلى أخيه الشيخ عثمان ، و درس لديه كثيرا من الكتب المعروفة في المنطقة كالعشماوي و الأخضري و العشرينيات و الوتريات و الشعراء الستة و الكتب السنوسية وغيرها في التوحيد ، و الأجرومية والملحة والقطر و نحوها في الإعراب، كما أخذ عنه علم التصوف و علم الحديث رواية و دراية، و أخذ عنه أيضا تفسير القرآن الكريم بأكمله و علم الحساب اليسير و تواليفه . لم يزل عبدالله ينتقل من شيخ إلى شيخ من نوابغ علماء زمانه إلى أن قرأ كل الكتب المعروفة في منطقته ذلك الوقت في الفقه و الإعراب و التصوف و علوم القرآن و القراءات و التفسير و أصول الفقه و التوحيد و الحساب و غيرها من العلماء إلى أن تخصص و تبهر في العلوم و فاق أقرانه، فصار آية في العلوم المنقولة و المأثورة، و شهد بعلمه و صلاحه و فضله العوام و الخواص و أقرّ بنبوغه علماء زمانه.

منزلته العلمية وتواليفه: ليس هناك من علماء نيجيريا من ترك تراثا ضخما في علوم اللغة العربي و الإسلامية مثل الشيخ عبدالله ، و لم يمنعه اشتراكه في المعارك وقيادته للجيوش من الكتابة في الموضوعات التي أحس الناس في حاجة لمعرفتها، و قد ترك لنا أكثر من مائة و سبعين كتابا ما بين كتب ضخمة ورسائل قيمة في مختلف العلوم و الفنون ، وما من فن من الفنون المعرفة في منطقته إلا ألف فيه ، و قد ألف في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والنحو والمنطق والطب والعروض والتاريخ والتوحيد وأصول الفقه والسير والمغازي والسياسة و ما إلى ذلك .

و الشيخ عبدالله مالكي المذهب أشعري العقيدة قادري الطريقة ، و مع ذلك لا يتعصب لمذهبه و طريقته ، و ينظر إلى الأدلة و أقوال العلماء و يختار و يرجح ما ظهر له أنه هو الراجح بغير تعصب لمذهب معين أو قول قائل معين."[13، ص15-16، 17-22]

آراء العلماء تجاهه: مما وصفه به أمير المؤمنين محمد بللو ابن أخيه الشيخ عثمان قوله : "آخر السادات الأعلام و خاتمة النظار ذو التحقيقات البديعة و الأبحاث الأنيفة المتفق عمله و هديه ممن قل سماح الزمان بمثله .. إلى أن قال : ..كان آية في تحقيق العلوم مفرط الإطلاع على المنقول في الفنون جامع شتات العلوم فاضل وقته وأعجوبة زمانه." [14، ص211]

وفاته: توفي الشيخ عبد الله بن فودي في سنة ألف ومأتين و خمس و أربعين للهجرة 1245هـ الموافق 1829م، و له من العمر ست و ستون سنة أو خمس و ستون سنة ، و رثاه كثير من علماء زمانه. [15، ص32]

- المطلب الثاني: جهود عبد الله بن فودي المؤثرة في حياة المجتمع

إن وادي النيجر (غرب أفريقيا) قد أخذ من العلوم الإسلامية ومن الثقافة العربية قسطا لا يستهان به ، و حوى جموعا من كبار العلماء المفسرين، أمثال أحمد بابا التنبكتي صاحب كتاب نيل الإبتهاج ، و محمد بن عبد الكريم المغيلي[5] الذي كان له تأثير كبير على زعماء حركة الجهاد، و الشيخ عثمان بن فودي المجدد. [16، ص95] قدموا الكثير و أبذلوا النفيس في سبيل خدمة هذا الكتاب وإصلاح المجتمع، و بأمثالهم لأي أمة لها أن تتفاخر بما منّ الله عليها .

فبعد أن شاع الفساد و كثر البدع و انتهاك المحرمات و اشتد ظلم السلاطين على أتباعهم عند ذلك جرت سنة الله كعادتها فقام بعض العلماء بأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما خافوا جرأة السلاطين و لا لومة لائم، بل أحبوا ثناء الله لهم في الملإ الأعلى، و باعوا أنفسهم و أموالهم بالجنة .

وذكر الشيخ عبد الله أن عمه و خاله عثمان المعروف بـ بندو كان مشهورا بالصلاح و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم ممن اقتدى بهم الشيخ عثمان بن فودي في القرن التاسع عشر الميلادي حيث قام كالمسلم المؤمن الذي يحمله إيمانه على التضحية بماله و نفسه في سبيل الله لإصلاح المجتمع و قمع الفساد. [17، ص 11- 12]

و هناك و جد المفسرون ضالتهم المنشودة في استجابة ما دعاهم ربهم إليه في سورة النحل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥. فلا هدأ لهم بال و لا طاب لهم نوم إلا بعدما رأوا عودة الناس إلى العقيدة الصحيحة. فجعلوا القرآن راية ينصبونها منه يخرجون ما يحتاج إليه مجتمعهم ، و بما أن من حواليهم من العجم فإنهم ينظرون إلى داء الأمة ثم يطوفون حول الآيات القرآنية ليجدوا لهم دواء شافيا و يقدموه لهم بترجمة واضحة سهلة ، و لم يهملوا جانبا من جوانب الداء إلا اقتلعوه و لا من جوانب الضعف - في حياة المسلم أنذاك - إلا قوموه، و لا كذلك من جوانب التقدم و الرقي إلا ساندوه و عضدوه .

[5]- هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفي سنة عشر وتسعمائة. هدية العارفين، جـ2/ص224

و قد أشرقت دعوتهم الإسلامية في عصر ساد فيه الظلام و عم فيه الجهل و التبس الحق بالباطل وانتشرت فيه الخرافات و كادت معالم الإسلام تختفي تحت أكداس من البدع و المنكرات. و لكن الإيمان الكامل و العزائم القوية و التضحيات الجسيمة كفيلة بأن تفعل المعجزات أو ما يشبه المعجزات و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. [18، ص8]

يقول الشيخ عثمان بن فودي في مقدمة كتابه نصيحة أهل الزمان [19، ص 7] :

نحمد الله وقتنا وقت نور وقت كشف الظلام في العالمين

نحمدالله و قتنا وقت إحياء السبيل لسيد المرسلين

نحمد الله وقتنا و قت نصر وقت خذلان جملة الكافرين

نحمد الله وقتنا وقت عز وقت فرج لجملة المسلمين

فكان إثر ما قاموا بفعله أن غيروا تجاه المجتمع بكليته نحو القمة و الرقي و التحلي بالأخلاق الإسلامية و هجر العادات المنكرة حتى وصف القرن التاسع عشر الميلادي بعصر النهضة و اليقظة عكس ما عرف في قطع أوربا بعصر الظلام . فأزالت البدع أحداثها و أرسخت السنة أقوامها فقوى الإيمان في النفوس و عم السلام في الأرض .

ومن أهم الجوانب التي أثر فيها عبد الله بن فودي بإسهاماته النبيلة في حياة مجتمعه؛ الجانب الديني والجانب السياسي.

أولا : الجانب الديني

هذه أولى اللبنة التي و جه العلماء إليها عنايتهم في تعديلها و ركزوا إليها قواتهم في إصلاحها و ذلك أن العادات الكثيرة تصادم تعاليم الإسلام مما يوقع الناس في الشرك و يخرجهم عن الملة و هم لا يدرون .

فمن الناس من خلص دينه كما ينبغي ، و من الناس من خلطه بما يناقضه و كان طليعة هذه البلاد أنذاك من هذا القبيل لأنهم أخذوا بالإسلام و هم يقرون بالتوحيد و يصلون و يصومون و لكنهم لم يفارقوا أحوال أجدادهم الأولين و لم يتركوا من عوائدهم شيئا فكل من خالطهم علم بالضرورة أنهم ملتبسون بما لا يصدر إلا من كافر. [20، ص 34- 35]

يصف عبد الله الوري الجو من اختلاط العبادت بالبدع المنحرفة فيقول: "أنه كان بعض الفلانيين يجتمعون و يخرجون مع أولا دهم إلى موضع بعيد من العمارة ثم يوقدون نارا عظيمة و يذبحون بقرة و يغرزون لحومها حول النار ليلا فإذا حان وقت السحر و قفوا حول النار و بأيديهم عصى يضربون أولادهم الكبار و يطوفون بالنار و يقولون : نحن وداعة الله

نحن وداعتك أيتها النار ، و أنت أبونا وأمنا و يرقص بعضهم عليها و لا تضرهم ثم يأكلون اللحوم و إذا أصبحوا قام خطباؤهم و تكلموا بما يرونه بليغا عندهم." [23،ص50]

وبينما الأمور على هذه الحالة قامت دعوة الشيخ عثمان بن فودي و طاف البلاد بدعوته يدعو الناس إلى دين الله بوعظه و تفسيره و قصائده العجمية و يهدم العوائد المخالفة للشرع ، و دعا الناس إلى إصلاح الإيمان و الإسلام و الإحسان، و ترك العوائد الناقصة لها ، فتاب الكثير ثم سار الناس إليه و هو في بلده أفواجا يستمعون وعظه. يقول عبد الله بن فودي: [21، ص52- 53]

عثمانُ من قد جاءنا في ظلمة فأزاح عنا كلُّ أسودَ دُجْدُجِ

و دعا إلى دين الله و لم يخف في ذاك لومة لائم أو فُجْفُجِ

فانصات خلقٌ حين صات لصوته و علا له صيتٌ فُوَيْقَ الأبْرُج

بشرى لأمة أحمد ببلادنا السودانِ في هذا الزمان المُبْهج

كم سنّة أحيَنْتَها و ضلالة أخمدتها جمرا بتأجُّج

و طَلَعْت في أرض عوائدها عَدَتْ و تخالفتْ سنن النبي الأدْعَج

وعبد الله بن فودي قائما مع أخيه عثمان بن فودي على تحمل هذا العبء ، و ألف تفسيرين لكتاب الله لتيسير فهمه و إبراز معانيه في أذهان المجتمع ، و ليعرفوا الإيمان الصحيح الذي ينجي صاحبه، فألف "ضياء التأويل" ثم اختصره في كتاب سماه "كفاية ضعفاء السودان" .

جهوده في مجال القرآن

1- تواليفه في علوم القرآن :

يعتبر عبد الله بن فودي أول من ألف في علوم القرآن وتفسيره من بين الكتب الموجودة في المكتبات. ففي علوم القرآن ألف ثلاثة كتب كلها في النظم ، و هي :

أ- المفتاح للتفسير بـ- سلالة المفتاح جـ- الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجليلة في علوم القرآن

أما كتابه "المفتاح للتفسير" فهو نظم لمباحث الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. تزيد أبياته على (700) بيتا. وأما "سلالة المفتاح" فهو تلخيص للمفتاح.

أما كتابه " الفرائد الجليلة " فهو نظم كذلك ، بدأ فيه بمقدمة تكلم فيها عن أهمية علوم القرآن و عن إهمال المتقدمين لهذا العلم و تأليف المتأخرين فيه . و كلامه في هذا المجال مأخوذ من كلام السيوطي في مقدمة الإتقان. و بعد هذه المقدمة تناول مباحث كتابه ، و لكنه تعرض بإيجاز شديد للموضوعات التي سبق أن درسها بالتفصيل في السلالة ، و فصل المسائل التي لم يتعرض لها في الكتابين أو تعرض لها و لكن بإيجاز شديد. [22، ص 22-23]

2- تواليفه في التفسير

و في التفسير كذلك له ثلاثة كتب و هي :

أ- نيل السول من تفاسير الرسول بـ- ضياء التأويل في معاني التنزيل جـ- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن

أما كتابه نيل السول من تفاسير الرسول فهو أول تأليف له في علم التفسير واختار النثر كأداة للتعبير عن مسائله كما أراد أن يشتمل أول مؤلفاته في التفسير على التفسير النبوي للقرآن أي ما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم في بيان القرآن من الأحاديث مما صح أو حسن إسناده . و قد بنى كتابه هذا على الجزء الأخير من كتاب الإتقان للسيوطي الذي خصصه لمثل هذه الروايات. [25، ص5]

يقول د.عبد الحميد:

> وسوف نرى أن عبد الله ينقل ما قاله السيوطي في ضعف الروايات وسقمها ولكنه يعلق فقط في الأحاديث التي تكون نكارتها شديدة وضعفها أكثر من أن يحتمل. وقد ذكر السيوطي مصدر كل حديث أورده في كتابه ، و لكن الشيخ عبد الله حذفه لأجل الاختصار ، وأضاف - بدلا منه – أشياء من المصادر الأخرى ، ولكنه لم يستوعب كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم في تفسير آيات القرآن ، بل ما ذكره هو أو جمعه السيوطي في الإتقان يمثل بعض ما روي عنه صلى الله عليه و سلم في هذا المجال .. وسوف يلاحظ القارئ أن الشيخ عبد الله استدرك على السيوطي بعض الأحاديث المهمة التي تركها ، فذكر قصته موسى مع الخضر و قصته مع الحجر وقصة أصحاب الأخدود ، و قصة سليمان ، و تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ الأحزاب: ٥٦. كما زاد أشياء من أحكام القرآن لتأييد مذهبه المالكي أو تأييد ما يراه الصواب. و مثل هذه التعليقات التي أضافها عبد الله لها أهمية كبرى لأنها تعكس وجهة نظره قدمها من خلال أقوال العلماء الأعلام، و هكذا كان منهجه المفضل في مؤلفاته ، يبدي رأيه من خلا أقوال العلماء

المعروفين. و لنيل السول خاتمة تعرض فيها المؤلف لنشأة التفسير و تطوره و ذكر أعلام المفسرين من الصحابة و التابعين ومن بعدهم، واعتمد ذلك على النوع الثامن و السبعين في معرفة شروط المفسر و على النوع الثمانين في طبقات المفسرين من كتاب الإتقان. [25، ص 14،12،11،3]

أما كتاب الضياء التأويل في معاني التنزيل فهو من أكبر كتبه ومن روائعه و قد كان زاخرا ببيان القراءات السبع و بيان أقوال الأئمة الأربعة و بيان علوم العربية و البلاغة و الأصول و ترتيب الغزوات و السرايا و غير ذلك مما بينه الإمام نفسه في مقدمة الكتاب.. . ثم اختصره لضعف الهمة في اطلاع ذاك الكتاب، فاقتصره في كتاب سماه : كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن ، "و قد ألفه بعد موت أخيه عثمان بن فودي [25، ص 43].

ويُذكر في سبب تأليفه أنه لما مر بأهل "كانو" قاصدا البيت و زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم منعوه أهلها من التجاوز، و حالوا بينه و بين ما يريده من السفر، و طلبوا إليه أن يرشدهم على إجراء الحكم وفق الشريعة و أن يقرأ لهم دروسا في تفسيرالقرآن ، فاستجاب لهم و ألف لهم كتابيه : "ضياء الحكام فيما لهم و ما عليهم" ، بين فيه مسؤلية الحكام و واجباتهم و حقوقهم و" كفاية ضعفاء السودان في تفسير آيات القرآن" ، و مكث معهم مدة. [25، ص40] و كان منهجه في هذا الكتاب الاقتصار على رواية ورش فيما يتعلق بأوجه القراءات ، و على مذهب مالك فيما يتعلق بالفروع، ثم ذكر ما لا بد منه من علوم العربية و البلاغة و القصص. و قد اتخذ منهجا يشبه منهج تفسير صاحب الجلالين في سرد تفسير الآية .

<u>نموذج من تفسيره:</u>

(أتأمرون الناس بالبر) المعروف: إيمان بمحمد وغيره (وتنسون أنفسكم) تتركونها فلا تأمرونها به (وأنت تتلون الكتاب) توبيخ وتبكيت، أي التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل وعلى الخيانة وترك البر (أفلا تعقلون) سوء فعلكم فترجعون. فجملة النسيان محل الاستفهام الانكاري أي التوبيخ على ترك العمل لا على الأمر به لأن الأمر بالحسن حسن وإن لم تعمل به، لكن قلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه، والبر التوسع في الخير يجمع جميع الطاعات ولذا قيل في ثلاثة، في عبادة الله، ومراعاة الأقارب، ومعاملة الأجانب. والنسيان: السهو، وأصله الترك، إلا أن السهو يكون لما علمه الإنسان ولما لم يعلمه، والنسيان ما عزب بعد حضوره وقيل بالعكس، وفي الآية الأمر بشهود صلاة الجماعة. ولما أمرهم بما يشق عليهم من ترك الرياسة والإعراض عن المال، عالجهم بقوله: (واستعينوا) على أموركم وحوائجكم (بالصبر) الحبس للنفس على ما تكره ومنه التوكل على الله في انتظار النجح والفرج، (والصلاة) بأن تصلوها صابرين على ما يجب فيها من الإخلاص ودفع الوسواس ورعى الخشوع واستحضار علم القيام بين يدي الله. أفردها بالذكر تعظيما لشأنها ولجمعها أنواع العبادات النفسانية والمالية من

الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطيبين. وفي الحديث أنه عليه السلام كان إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة. ويجوز أن يراد بها الدعاء، وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الثره وحب الرياسة أمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفى الكبر. (وإنها) الصلاة (لكبيرة) ثقيلة (إلا على الخاشعين) الساكنين إلى الطاعة فتهون عليهم لتوقع ما اذخر لهم. والخشوع: هيبة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع، والخشوع يظهر في الجوارح، كما أن الخضوع وهو اللين والانقياد يكون في القلب. [23، ج1/ص28-29]

وعلى هذا النمط عمل العلماء -وعلى رأسهم عبد الله بن فوي- على سلخ العادات الذميمة في المجتمع و نزعها منهم بالوعظ و الإرشاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وجمعوا قواهم من أجل تطهير الدين من الخرافات المتعلقة به، و إثبات الحقيقة الدينية بالبراهين العقلية التي تستنتج من المقدمات المنطقية الصحيحة ، و كان القرآن أول منبع استمد منه العلماء المفسرون ما يصلح به الأحوال ويقوي به الإيمان، فكانوا لا يمرون بآية تتعلق بالعقيدة إلا بسطوا القول فيها و أطالوا الحديث عنها.

فمعظم مؤلفاته في هذه الفترة – فترة ما بعد رجوعه من كانو - كانت تحمل عنوان الضياء وكأنه شعر أن الجماعة بانحرافها عن الطريق المستقيم فقدت النور و بدأت تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض و هي تحتاج إلى نور قوي نور أصيل نورالقرآن والسنة، فالقرآن هو الضياء ، ضياؤه مثل ضياء الشمس الذي يكفى في إنارة الطريق للضال وكذلك السنة كفيلة بإنارة الطريق لمن أراد الاهتداء بها . فكان هدف عبد الله من ضياءاته إلقاء الأنوار الكاشفة لكي لا يضل عنه المسلمون. [24، ص 40-41]

وكذلك ألف في الحديث والفقه والتصوف والتاريخ واللغة والنحووالصرف والمنطق وعلم الكلام والعروض والأدب. يقول الدكتور علي أبوبكر: "إن البلاد لتفخر بمؤلفات هذا العبقري لا لكثرتها وقيمتها فحسب، ولكن لشمولها لمعظم العلوم، ولا شك أنه أكبر عالم وكاتب عرفته الإفريقية الغربية." [25، ص 264] ومازال بعضها تتداول بين الأيدي في حين أن بعضها الآخر في قائمة المفقود، وهنا ذكر لبعض منها.

في الفقه والحديث والسيرة:

1. ضياء الأمة في أدلة الأئمة: تناول فيه موضوع الطهارة، الصلاة، الزكاة، الحج
2. كتاب العادات على سنة الرسول وتابعيه السادات: تناول فيها بعض العبادات والمعاملات.

3. كفاية العوام: تناول فيها – نظما - حكم البيع والشراء، وما يحل فيها وما يحرم.

4. سراج الجامع للسيوطي: يتناول الحديث عن كيفية جمع البخاري لصحيحه...

5. ضياء أولي الأمر: أودع فيها سيرة النبي والخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز.

في العقيدة والتصوّف:

1. منن المنّان لمن أراد شعب الإيمان في التصوف.

2. مطية الزاد: أورد فيه العديد من الأحاديث التى تحثّ على الزهد.

3. ضياء القواعد ونشر الفوائد لأهل المقاصد: في الحث على التصوف.

4. تهذيب الإنسان من خصال الشيطان

5. نيل المرام من شيم الكرام: وهي أحاديث تحضّ على الصبر وحسن الخلق.

في السياسة الإسلامية:

1. ضياء السياسات: تناول المسائل الدينية والسياسة الشرعية

2. ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام

3. كتاب النصائح في أهم المصالح.

في علوم اللغة والأدب:

1. البحر المحيط: وهو كتاب منظوم في النحو

2. الحصن الرصين: ألفية في علم الصرف.

3. فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي: ويقع في نحو (230) بيتا.

4. تزيين الورقات لبعض ما لي من الأبيات: (ديوان شعر) يحتوي على (19) قصيدة، في: مدح شيوخه ورثاء أقاربه، وتصوير معارك الحرب التي خاضها

5. روض العاشق في مدح سيد العباد صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: الجانب السسياسي

نظام الحكم الإفريقي القديم أرستقراطي بحت إذ يتوارث الحكام مناصبهم كابرا عن كابر ، و زمام الأمر بيد الملوك و يعاونهم أمناؤهم من كبار مواليهم المخلصين لهم ورؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ومن كهنتهم المشيرين لحركاتهم .. و ليس لهم قانون مدون في كتاب ، إنما يحفظون في صدورهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعادات. [26، ص83]

> و لما جاء الإسلام و دان به كثير من أقطارها عمل أمراؤها وملوكها بالنظام الإسلامي ، وكان للعلماء دور عظيم في تغير النظام السياسي بكليته ، و أثرت دروسهم التفسيرية والوعظية أثرا بالغا في توعية العقول والعمل على إقامة الدولة الإسلامية. و الشيخ ابن فودي[6] كان له مجلسان أحدهما للتدريس والآخر للوعظ والإرشاد ، أما تدريسه فكان يخرج بعد صلاة العصر و العشاء للتدريس، يفسر القرآن و يدرس الحديث و الفقه و التصوف و سائر العلم الأخرى، أما وعظه فكان يخرج له ليلة كل يوم جمعة ، و يعظ الناس فيها ، و كان يحضر مجلسه خلق كثير رجالا و نساء، وكان يخرج إلى الآفاق القريبة و البلدان المجاورة للإفادة و الوعظ أيام ثم يرجع إلى بلده. [29، ص 121]

و صار للشيخ عثمان صيت عظيم في الآفاق بوعظه ودروسه ، و صار يقصده الأقربون و يكاتبه الأبعدون وتكونت من المستمعين لوعظه هيئة منتظمة سماهم "الجماعة"، و هم الذين صاروا له أنصارا في دعوته الإصلاحية. [29، ص83]

و كان الأمر في بدايته يقتصر على ترسيخ الإيمان في القلوب و إحياء الشعور الديني في النفوس ، و على إصلاح الأحوال في السر و العلن وتزكية النفس فيما بينها و بين خالقها وفيما بينها و بين العباد ، فقصدهم الجبابرة فحملوا السلاح لما خافوا على أنفسهم و دافعوا عن الحق ، و قاتلوا حتى جعلوا كلمة الله هي العليا و كلمة الكفر هي السفلى ، و هدموا بناء الظلم و الطغيان و شيدوا أساس العدل و السلام ، وبهذا أسس دولة إسلامية في منطقة الشمالية النيجيرية.

و لم يتخلى فارس الميدان الشيخ عبدالله عن ميدان الجهاد ، فكما أسهم في الميادين العلمية و بث النور القرآني في الآفاق كذلك أسهم و شارك في الجهاد الإسلامي، و عمل على إيقاظ روح الجهاد في نفوس الأمة، و وقف مع أخيه عثمان جنبا بجنب في سبيل التوعية و إقامة الدولة الإسلامية ، فهو أول من بايعه، و وزيره الأول و قائد الجمع العسكري .

---

[6]- الشيخ بن عثمان بن فودي ، وهو عثمان بن محمد بن فودي بن عثمان بن صالح، أخ عبد الله بن فودي. ولد بأرض غوبر حوالي 1169هـ/1744م. انظر: الوري، عبد الله، الإسلام في نيجيريا، ص109،108.

و قد ذكر في كتابه " تزيين الورقات " هذه المعارك التي تولى قيادتها ، ومنها غزوة "كوتو" التي تعتبر بمثابة النقطة الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية مع ربط شئون الحياة بالقرآن الكريم وإحياء الثقافة الإسلامية. وذلك حين جمع ملك غوبر "ينف" جيشا عظيما لقتال المسلمين، و قاد الشيخ عبد الله جيش المسلمين ، و التقى الجيشان في مكان اسمه "كوتو" فهزم الله جيوش ينف بأيدي المسلمين. [29، ص 122- 128] و في ذلك يقول عبد الله: [27، ص 82-83]

بدأت ببسم الله و الشكر يتبع على قمع كفار علينا تجمعوا

ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من بلادهم و الله يرأى و يسمع

إلى أن قال :

فقلت و فآلي مثل أمر محقق لدى سينفى ينف بالذل يرجع

و كنا انتظرناهم مواضع بيننا ثلاثة أيام و أخر يربع

و لما رأينا جبنهم عن جموعنا رحلنا إليهم و اللواء مرفّع

و قيل لنا ساروا إلى كت غربكم لكي يرجعوكم نحو شرق فترجع

فقلت النجا لا يسبقونا لأهلنا بعشر ربيع بدرها يتطلع

و صلنا لأهلينا و جاوزت منزلي بغير دخول فيه الناس هجع

و ليس معي إلا قليل أطاعني على السير بعد الأين و الجوع يلذع

و في هذه المعركة قتل عدد كبير من المسلمين و استشهد طائفة من العلماء و خيار الناس و نحو مأتين من القراء . و في ذلك يقول عبد الله: [30، ص 94-95]

تذكرت و الذكرى تثير لذي النوى هموما و في الذكرى تهب صبا الهوى

أخلاء ماتوا في الجهاد و غيره و بعدي عن شيخي فأرقني الجوى

و هكذا استطاع العلماء أن يغيروا النظام السياسيي الذي قام على الحكم الاستبدادي أنذاك إلى النظام الحكم الإسلامي القائم على الخلافة و الشورى في خلال أربعة عشر سنة، و نصبوا راية الإسلام في أكثر مدن الشمالية النيجيرية ، و أصبح أكثر سلاطينها علماء، و إذا لم يكن السلطان نفسه عالما فقيها اتخذ أحد العلماء المبرزين وزيرا له يدير له الدول على وفق الشريعة.

و قد خلفت هذه الجهود أثرها الديني و السياسي على المجتمع الشمالي النيجيري ، و ما زالت هذه الآثار باقية و عالقة بالأذهان طوال قرن متكامل إلى أن دخل الاستعمار الأوربي في مطلع القرن العشرين 1904م، وأوجهوا طاقتهم و كل ما لديهم في غرس عقائدهم الوثنية عن طريق المبشرين وإجتثاث ما أثبته حركة عثمان بن فودي.

وبناء على ما سبق، يمكن استنتاج أثر عبد الله بن فودي في المجتمع وتقسيمه إلى قسمين؛

أ. **قسم يتصل به مباشر**: وهي تأليفاته التي طرقت مختلف المجالات، واستفاد بها المجتمع أنذاك، وما زالت تتداول بين أيدي الطلبة والعامة.

ب. **قسم يتصل به غير مباشر:** وأثره هنا يشاركه أخوه من خلال الجهاد الذي خاضوه، وهي كالآتي:

1. انتشار اللغة العربية والمدارس الإسلامية للرجال والنساء ولمختلف المراحل. ففي سنة 1903م عدد 25000 مدارس إسلامية وأكثر من 250000 طلابا. [28] واستمرّ هذا النمط من التعليم الإسلامي إلى وقت سيطرة الاستعمار على البلاد؛ ولذا لما جاءوا تفاجئوا بوجود نظام مستقر وتعليم قائم على اللغة العربية والدين الإسلام.
2. أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية دوليا.
3. تأسيس الدولة الإسلامية والتي ألغيت بعد القضاء على الخليفة المسلمين من قبل المستعمرين.
4. أصبحت معظم البلدان في المنطقة يحكمها الإسلام؛ لها أميرها خاضع للخليفة المسلمين.
5. واجه الاستعمار معارضة رصينة و مقاومة عنيفة لما دخل منطقة شمال نيجيريا، وهذا له علاقة بتثبيت الدين قوائمه في أرجاء أنحاء البلدان بفضل دعوة ابن فودي، فأبى المجتمع برمته أن ينخضع ويستسلم لحكم الطواغيت. جاء في إحدى الرسائل التي كتبها أمير المؤمنين "الطاهر" أنذاك إلى قادة المستعمرين: "لا أرضى لأحد منكم أن يقيم معنا، لا أرضى بكم أبدا، لا فائدة بكم عندي، لا يوجد شيء بيننا وبينكم إلا القتال."[29]
6. قضى المستعمرون ما يقارب ثلاث سنوات قبل السيطرة على المنطقة منذ أن أعلن قائدهم "فيدرك لغارد" الحرب سنة 1900م.
7. ما زال نظام الإمارة مستمر في المنطقة، فلكل بلد أميره يترأسهم جميعا سلطان صكوتو الذي غير الاستعمار لقبه من أمير المؤمنين إلى سلطان صكوتو بعد إلغاء نظام الدولة الإسلامية.
8. كل المحاولات لتحويل مجتمع الشمالي النيجيري إلى الديانة المسيحية وتبديل التعليم الإسلامي بالغربي باء بالفشل لرسوخ العقيدة الإسلامية في نفوس الناس بفضل حركة عثمان بن فودي.
9. لم يستطع المبشرين الذين كانوا يدا أخرى للاستعمار تأسيس مدرسة في مدينة "كانو" وقتئذ، حيث أخرجوا بإذن أمير البلد[30].

10. إن اللغة العربية وإن نجح الاستعمار على تبديلها بالانجليزية رسميا فما استطتعوا منع تعليمها في المدارس.

11. ما زال الإنسان المسلم في شمال نيجيريا مرتبط بدينه وعقيدته في جميع شئونه.

12. رغم فرض الاستعمار قوانينهم الوضعية وتبديل الشريعة الإسلامية، فهناك مجالات ما زال التشريع فيها قائم على الشريعة الإسلامية، وذلك فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

الخلاصة:

هذه الورقة تناولت الحديث عن شخصية عبد الله بن فودي أحد الأعلام القرن الثامن عشر الهجري الذي كان له نفوذ وأثر في حياة مجتمعه أنذاك. وقد ركزت الورقة على دراسة شخصيته و جهوده في خدمة القرآن والتي ظهر أثرها جليا في مجال الإصلاح الذي قام به من الناحية الدينية والسياسية. لقد وُجه إليه تهديدات عدة من قبل الأمراء والسلاطين ، ولكن رغم ذلك كله ثابر واستمر في الدعوة والجهاد مع أخيه عثمان بن فودي حتى كتب لهم النصر بإلغاء الإمارة الوثنية وجعل الدولة الإسلامية مكانها. إن من آثاره إزالة العادات الوثنية والبدع الشركية، وإحياء الثقافة الإسلامية عن طريق المعارك التي خاضها وتأليفاته التي طرقت مختلف المجالات، وخصوصا تفسيره "ضياء التأويل في معاني التنزيل" الذي لخصه في كتاب سماه "كفاية ضعفاء السودان"، وما زال موطن الدراسة لاحتوائه على النفيس والثمين من العلوم. وأوصى الباحث إلى إعادة دراسة هذا الكتاب مع ربطه بالظروف والواقع الذي ألف فيه صاحبه لكشف منهجه الإصلاحي -في تناول الآيات- كوسيلة لمواجهة التحديات المعاصرة. وكذلك دراسة الشخصيات الأخرى التي كان لها نفوذا واسعا في المنطقة لكشف آثارهم.

كلمة شكر و تقدير:

لله الحمد من قبل ومن بعد ، أحمد الله على نعمه التي التي لا تحصى، أحمد الله تعالى أن أرسل لنا محمدا نبيا و رسولا ، أحمد الله أن جعلنا في أمة محمد صلى الله عليه و سلم خير أمة أخرجت للناس ، اللهم صل و سلم و بارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أقدم بكل احترام خالص الشكر والتقدير للدكتور محمد فتحي محمد عبد الجليل الذي شارك معي في إخراج هذه الورقة بهذه الصورة المنيرة.

كما يسرني ويشرفني أن أسطر كل عرفان بالجميل إلى جامعة سلطان زين العابدين التي منحت لي فرصة لتكملة دراستي الدكتوراه، كما أقدم خالص الشكر و عظيم الامتنان لرؤساء وأعضاء مؤتمر المحفل العلمي السادس ولجانه المتعددة لإقامة هذا المؤتمر وإتاحة الفرصة للعلماء والمفكّرين والخبراء والباحثين والمثقّفين بالمشاركة.

و أفرغ أسطر الأخيرة لأسجل فيها باقات من الشكر والعرفان لمنصة "أريد" التي تبذل كل طاقاتها لرفع المستوى البشري، عن طريق أنظمتها المتلائمة.

ثم أخيرا أختم بدعوة الخير لكل من يعمل ليلا ونهارا لمساندة هذه الملتقات العلمية، سائلا عز و جل أن يسعد حياتهم، ويرفع الوباء عنا، و يجمعنا جميعا في حضرة المصطفى صلى الله عليه و سلم.

المراجع:

[1] -الوري، عبد الله. الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني. مكتبة وهبة: الطبعة الأولى، 1432هـ/2012م

[2] - مهدي، د. عاشور. دليل الدول أفريقيا. معهد البحوث والدراسا الافريقية، 2007

[3]- الوري، عبد الله. الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني. مكتبة وهبة: الطبعة الأولى، 1432هـ/2012م

[4]- الوري، عبد الله. موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة: الطبعة الأولى، 1432هـ/2012م

[5]- قنصوه، صبحي علي. الدين والسياسة في نيجيريا (دراسات أفريقية) (سلسلة دراسات محكمة غير دورية). القاهرة: مكتبة البرنامج

[6]- الوري ، عبد الله. الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني. مكتبة وهبة: الطبعة الأولى 1432هـ/2012م

[7]- ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[8]- الوري، عبد الله. الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا (بدون ناشر وتاريخ)

[9]- بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[10]- ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[11]- ابن فودي، عثمان. نصيحة أهل الزمان للشيخ عثمان بن فودي. ظامير يروصكتوا نيجيريا: طبع على نفقة الحاج محمد طن إغي (بدون تاريخ)

[12]- ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[13] - بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[14] - ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[15] - بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[16]- ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[17]- بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[18]- ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[19]- ابن فودي، عثمان. نصيحة أهل الزمان للشيخ عثمان بن فودي. ظامير يروصكتوا نيجيريا: طبع على نفقة الحاج محمد طن إغي (بدون تاريخ)

[20] - ابن عثمان، محمد بللو. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (بدون ناشر وتاريخ)

[21] - بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[22]- ابن فودي، عبد الله. الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة. تحقيق :د.عبد العلي عبد الحميد، الحاج محي الدين اليسار بن المرحوم الحاج عبد الله اليسّار (بدون تاريخ)

[23] - ابن فودي، عبد الله. ضيا التأويل في معاني التنزيل (بدون ناشر وتاريخ)

[24] - ابن فودي، عبد الله. الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة . تحقيق :د.عبد العلي عبد الحميد، الحاج محي الدين اليسار بن المرحوم الحاج عبد الله اليسّار (بدززن تاريخ)

[25]- أبوبكر، علي. الثقافة العربية في نيجيريا. مؤسسة عبد الحفيظ البساط: الطبعة الأولى 1972م

[26]- الوري، عبد الله. الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني. مكتبة وهبة: الطبعة الأولى، 1432هـ/2012م

[27]- بوي ، عمر محمد. توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات (بدون ناشر وتاريخ)

[28]- Abdullahi Y. Reflection on the Intellectual Legacy of the Sokoto Jihad. World Scientific News. 2016;32:95-105.

[29] – Alhaji, A.B. The impact of colonialism in uprooting Islamic polity and introducing secularism in northern Nigeria. E-proceeding of the 2nd International conference on Arabic studies and Islamic civilization. iCASiC2015 (e-ISBN 978-967-0792-02-6), 9-10 March 2015, Kuala Lumpur, Malaysia. p.159. Oganized by http://WorldConferences.net

[30]- Abdullahi Y. Reflection on the Intellectual Legacy of the Sokoto Jihad. World Scientific News. 2016;32:95-105.